مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد السادس والعشرون– تشرين الاول ٢٠٢٣–ربيع الاول ١٤٤٥
ISSN–2536–0027

الاشاريات الاجتماعية في سورة يوسف دراسة تداولية

الباحث م . م . ولاء عبدالله محمود
مديرية تربية نينوى

الملخص
اللغة أداة المجتمع في التواصل، ومحيطها الذي تبتدئ منه وتنتهي إليه، فلا يمكن فصلهما عن بعضهما عند دراسة أيٍّ منهما، فعلاقتهما أعمق من أن تكون مجرد علاقة تأثر وتأثير، وذلك ما سنلاحظه في هذا البحث الذي درس الإشاريات الاجتماعية في سورة يوسف في مبحثين كان الأول نظيريا ومهادًا للثاني التطبيقي التحليلي، وقد كان الهدف المرجو منه تسليط الضوء على جملة من الإشاريات الاجتماعية، فيبين دلالتها اللغوية وبعدها الاجتماعي وأثرها في بيان نوع العلاقة(رسمية، غير رسمية) بين أطراف الحوار، وطبيعة لغة كلٍّ منها وسماتها الخاصة التي ميزته، فلغة القرآن لغة مميزة تتجلى بها آيات الإعجاز، وتتبلج بها المعاني أيما انبلاج، وذلك ما سنراه جليًا في التحليل التداولي لسورة يوسف المشحونة بأنواع العلاقات الاجتماعية، فعالج البحث ظاهرة تداولية في اللغة العربية من خلال أسمى نماذجه إلا وهو القرآن الكريم، وقد بين البحث مدى استيعاب اللغة العربية لتلك النظريات الوافدة إلينا من خلال خصائصها ومميزتها التي لا تكاد تخفى على كل من درسها.

Abstract
Language is a means of communication in the society where it begins and ends , and cannot be separated from each other when studying . The relationship between them is not just a relationship of being influenced and influence , and this is what we will notice in this research which has studied social signals in Surat Yusuf in two divisions : The first is theoretical and the second is practical . The aim is to highlight a group of social signals for showing their linguistic and social meanings and their impact on showing the type of the relationship (formal, informal) between the parties to the dialogue, and the nature of the language of each of them and its own qualities that distinguish it . For example, the language of the Qur'an is a very high language by which the meanings are shown very clearly , and this is what we will see in the circular analysis of Surat Yusuf that is full of types of social relations . The research has studied the circular phenomenon in the Arabic language through - the highest model - the Holy Qur'an . The research has shown the Arabic's acceptance of those theories coming to us through their qualities which distinguish them and are not hidden to any student.

المقدمة
الحمد لله الذي جعل الناس شعوبًا وقبائل للتعارف وتتعاون لعمارة الأرض، وعلّمهم اللغة بيانًا لما في نفوسهم، وتحقيقًا لذي الغايات، ثم الصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد السادس والعشرون– تشرين الاول ٢٠٢٣–ربيع الاول ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

أمَّا بعدُ

فقد دار بحثنا حول اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية، فبين أثر المجتمع في اللغة، وكيفية تأثرها به، واستعماله لها فتناول الإشاريات الاجتماعية التي تعد حلقة من حلقات الوصل بينهما(المجتمع، واللغة)، فدرس البحث(الإشاريات الاجتماعية في سورة يوسف دراسة تداولية).

وقد قُسِّم البحث على مبحثين كان الأول منهما نظريًا درسنا فيه مفاهيم مصطلحات العنوان، والإشاريات الاجتماعية في الدرس اللغوي العربي، وعلاقة هذه الإشاريات الاجتماعية باللسانيات الاجتماعية، أمَّا المبحث الثاني فدرس الجانب التطبيقي والتحليلي لآيات منتخبة من سورة يوسف، حددنا فيها الملمح التداولي وموطن الشاهد مستعينين بكتب التحليل اللغوي وكتب التفاسير التي ابانت المقصد وكشفت المعنى، وأتبعنا ذلك بخاتمة حوت أهم نتائج البحث وجدولًا ملحقًا ضمَّ جردًا لما حوت سورة يوسف من الإشاريات الاجتماعية مع بيانه لنوعها.

هذا وما كان من صواب وتوفيق فمن كرم الله وفضله، وما كان من خلل أو خطأ فمن نفسي القاصرة التي ما زالت تحاول التعلم، وتسدد وتقارب ما استطاعت إلى ذلك سبيلًا، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

الإشاريات الاجتماعية في البحث التداولي(مدخل نظريّ)

المطلب الأول: تعريف بمصطلحات العنوان

أولًا: التداولية: أحد فروع علم اللغة التي تدرس اللغة في واقع استعمالها اليومي، وقد عُرفت بأنها ((دراسة اللغة بوصفها ظاهرة خطابية، وتواصلية، واجتماعية في نفس الوقت))[١]

ثانيًا: الإشاريات: وهي رموز لغوية يحدد مرجعها السياق الذي ترد فيه، وعُرفت على أنها((علامات مُحيلة غير منفصلة عن فعل التلفظ، وهو فعل يقتضي مُتلفِظًا يتوجه بخطابه إلى مخاطَب، ضمن إطار زماني ومكاني محدد، لذلك لا يمكن إسناد دلالة ما إلى ملفوظ معين دون الوقوف عند الإشاريات من جهة، وعند سياق إنتاج الملفوظ من جهة آخرة))[٢]، وتستعمل هذه التعابير((بشكل أساس ومتزايد في التفاعل المنطوق وجهًا لوجه face to face))[٣]، مما يضفي عليها الخصيصة الاجتماعية التي تنتج عن التفاعل(الحوار) المباشر.

ثالثًا: الإشاريات الاجتماعية: إحدى أنواع الإشاريات التي تبين طبيعة العلاقة والبعد الاجتماعي بين المتخاطبين، فهي كما عرفها محمود أحمد نحلة((ألفاظ وتراكيب تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين من حيث هي علاقة رسمية formal او علاقة ألفة ومودة))[٤]، وقد سماها يول بـ(مؤشرات المكانة الاجتماعية markers) ومثل لها بقوله:((مثلًا: الفرق بين مخاطب ذي مكانة عليا، وآخر ذي مكانة دنيا، تسمى التعابير التي تشير إلى مكانة عليا بالمُبجلات honorifics، وتسمى الظروف التي أدت إلى اختيار إحدى هذه الصيغ دون سواها بالتأشير الاجتماعي social deixis))[٥] وهو ما يُسمى بالمعنى الأسلوبي في علم الدلالة كما عند الدكتور أحمد مختار عمر حين تكلم أنواع المعنى[٦].

المطلب الثاني: الإشاريات الاجتماعية في التراث العربي

عُنيت الدراسات اللغوية العربية بمستوياتها كافة(التركيبية، والدلالية) بالخطاب وظروفه وما يحيط به من ملابسات تؤثر فيه، وما الإشاريات الاجتماعية إلّا أحدى تلك الملابسات التي درسها اللغوي العربي بغية الوصول لتمام معنى الجملة وغاية الحوار إذ نجد ذلك في موضوعات عدة منها :

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد السادس والعشرون– تشرين الاول ٢٠٢٣–ربيع الاول ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

١) الألقاب وصيغ التبجيل: تناول النحاة الألقاب وقسّموها من حيث دلالتها فهي عندهم كلمات دالة على مدح ـ يمكن أن تدخل تحت هذا القسم صيغ التبجيل ـ أو ذم[٧]، يستعملها المتكلم معبرًا عمَّا يروم من معانٍ وكلّ حسب مقامه وعلاقته به.

٢) الالتفات في استعمال الضمائر : فالالتفات عند البلاغيين، يُعنى بالانتقال في الكلام(بين الضمائر) من وضع إلى آخر، ومن حالة إلى حالة أخرى؛ كأن ينتقل الكلام من خطاب الحاضر إلى الغائب أو العكس، وغير ذلك من صيغ الانتقال التي تعني التحول من صيغة إلى أخرى، وهي ما((توحي دلالاتها ومقاصدها بتلك المفاهيم الإشارية الاجتماعية، والتي أبانها العلماء بذكر أغراضها البلاغية المحددة بأبعاد نفسية واجتماعية، فهذه الفصائل اللغوية وضِحت عندهم بمدركات اجتماعية تحمل قيمًا ومعايير استعمالية خاصة تتناسب مع مواقف اجتماعية معينة لا تدرك إلا بالوعي بالعرف اللغوي والاجتماعي المقتضي استعمال هذه التعبيرات حسب المقامات والظروف الخاصة بها))[٨]

٣) النداء وأدواته: النداء((مُشير مقامي به يتحقق أمران تعيين المخاطَب وتعيين المتكلم، إذ بعمل التلفظ بالنداء يعين الشخص نفسه متكلمًا، ويعلن ذلك للمخاطَب الذي يوجه له الكلام))[٩]، ولكلٍّ من أدواته معنى تختص به، وقد فصّل البلاغيون والنحاة القول فيها، فقسموها وفق دلالتها على المسافة على سبيل الحقيقة أو المجاز (المسافة الاجتماعية)، فقد يُنادى القريب بما وضع لمنادى البعيد، وقد يحدث العكس، وذلك لأغراض معينة يقصدها المتكلم.

٤) التصغير وأغراضه الدلالية: إذ إن من أغراض التصغير الدلالية التحبب(لبيان قرب المسافة الاجتماعية بين المتكلمين)[١٠] .

٥) الكناية: من الطرق غير المباشرة في تأدية المعنى، والتي يُعدل إليها لأسبابٍ قد تكون اجتماعية ـ وهو ما يعنينا منها ـ ذكرها أهل البلاغة، فهي عندهم((أن يُريد المتكلمُ إثباتَ معنًى من المَعاني، فلا يذكُرُه باللفظِ الموضوع له في اللُّغة، ولكنْ يَجيءُ إلى معنى هو تاليهِ وردْفُه في الوجود، فيومئ به إليهِ، ويجعلهُ دليلاً عليه))[١١]، وجعلها المبرد على ثلاثة أوجه للاعتبارات المذكورة وهي[١٢]:

ـ التعمية والتغطية
ـ الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره.
ـ التفخيم والتعظيم

ففي هذه الأوجه الثلاث ملمح اجتماعي يحدده سياق التكلم، إذ يفرض على المتكلم التعمية والتغطية في مقام بذاته لا يفرضه غيره، وكذلك في الرغبة عن بعض الكلام تنزيهًا للسامع أو للمتكلم مما لا ينبغي لمن في منزلته قوله أو سماعه، وكذلك أيضًا في التفخيم والتعظيم وهو ممَّا ليس مبذولًا لكلِّ أحد.

المطلب الثالث: علاقة التداولية باللسانيات الاجتماعية

تجاهلت اللسانيات والبنيوية منها بشكل خاص المكون الاجتماعي للغة إذ أقصى سوسير الكلام من الدراسة لكونه ظاهرة فردية ـ على حد قوله ـ فظهرت اللسانيات الاجتماعية كرد فعل على كل ذلك[١٣]، وعُنيت باللغة وعلاقتها بمجتمعها الذي انبثقت فيه وعنه، فدرست((التنوع المشترك بين الظواهر اللسانية والمجتمعية، ورصد العلاقات الموجودة بين هذه الظواهر بتحديد السبب والنتيجة، ويعني هذا ضرورة البحث عن أسباب التغيرات التي تحدث على المستوى اللساني، وربطها بمسبباتها الاجتماعية أو سياقها التلفظي والتواصلي))[١٤].

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد السادس والعشرون– تشرين الاول ٢٠٢٣–ربيع الاول ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

أمَّا الإشاريات الاجتماعية فهي من المفاهيم التداولية التي تُعنى بـ((تبيين أثر العلاقات الاجتماعية بين المشاركين في الحديث والموضوع الذي يدور حوله الكلام، ومرتبة كل من المتكلم والسامع وجنسه، وأثر السياق غير اللغوي في اختيار السمات اللغوية وتنوعاتها))[١٥] .

مما سبق نستنتج أن المجتمع هو حلقة الوصل بين المفهومين المذكورين، فكلاهما متأثر به، ومنبثق عنه، وقد نتج عن تلاقح التداولية وعلم اللغة الاجتماعي ما اطلقالتداولية الاجتماعيةsociopragmatics ((التي تهتم بدراسة شرائط الاستعمال اللغوي المستنبطة من السياق الاجتماعي))[١٦]

المبحث الثاني

الإشاريات الاجتماعية في سورة يوسف

أولاً: بين يدي سورة يوسف

سورة يوسف من السور المكية التي تتكلم عن قصة النبي يوسف ـ عليه السلام ـ في مائة وإحدى عشرة آية حافلة بالأحداث المتتابعة بأسلوب قصصي قرآني معجز فـ((لم تذكر قصة نبي في القرآن بمثل ما ذكرت قصة يوسف ـ عليه السلام ـ هذه السورة من الإطناب))[١٧]

ثانيًا: الإشاريات الاجتماعية في آيات منتخبة من سورة يوسف(دراسة تداولية):

قصة يوسف عليه السلام تتضمن محاور يضم كل منها مشاهد حوارية ترسم الحدث الكامل للقصة يمكن تقسيمها على:

المحور الأول: يوسف في بيت أبيه(العلاقات غير الرسمية)

نجد الملمح التداولي للإشاريات في هذا المحور قد توزع على عدة آيات ضمنت مشاهد الحدث، وكان من أولها المحاورة بين يوسف وأبيه حكاية الرؤيا في قوله تعالى:(إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۝ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) [آية:٤ـ٥]

فالخطاب في الآية الكريمة تمثل بجملة النداء في(يَا أَبَتِ)، وفي قوله:(يَا بُنَي) المتكونة من حرف النداء والمنادى في سياق الآية الكريمة، ولا يخفى ما هذا التعبير المباشرة من العلاقة الاجتماعية، فهي علاقة ابن بوالده تنطوي على المودة والألفة والتوقير، وفي التصغير (بُنَيّ)ملمح اجتماعي وحمولة دلالية يوضحها ابن عاشور بقوله: ((وهذا التصغير كناية عن تحبيب وشفقة، وفي ذلك كناية عن إمحاض النصح له))[١٨]، كيف لا وهو الأب المشفق الرحيم الذي علّق قلبه بولده البار، والإشاريات الاجتماعية هنا ذات مرجعيات قريبة يقدمها السياق بشكل مباشر للمتلقي فالمرسل في الجملة الأولى هو يوسف عليه السلام والمستقبل هو والده يعقوب عليه السلام وينعكس ذلك في الجملة الثانية (يا بُني).

أمّا المشهد الثاني فيتمثل بمراودة أخوة يوسف لأبيهم ليصطحبوا معهم يوسف، ثم عودتهم بقميص يوسف ملطخ بالدماء، في قول تعالى:(قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ) [آية: ١١]

يقتضي العرف اللغوي في جملة النداء(يَا أَبَانَا)في مشهد مجادلة إخوة يوسف لأبيهم من خلال دلالة الألفاظ وجود العلاقة غير الرسمية بين المتحاورين(علاقة الأبناء بأبيهم)، وقد كان الحوار مليئًا بالمؤكدات المناسبة لجو الشك والتربص يقول ابن عاشور ((وفي هذا القول الذي تواطأوا عليه عند أبيهم عبرة عن تواطئ أهل الغرض الواحد على التحيل لنصب الأحابيل لتحصيل غرض دنيء، وكيف ابتدأوا بالاستفهام من عدم أمنه إياهم على أخيهم وإظهار أنهم نصحاء له، وحققوا ذلك بالجملة الاسمية، وبحرف التوكيد، ثم أظهروا أنهم ما حرصوا إلا على فائدة أخيهم، وأنهم حافظون له وأكدوا ذلك ايضًا))[١٩]

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد السادس والعشرون– تشرين الاول ٢٠٢٣–ربيع الاول ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

إذ يبتدؤون الكلام بصيغة النداء الدالة على التوقير والتعظيم ((وابتداء الكلام مع أبيهم بقولهم(يا أبانا) يقضي أن تلك عادتهم في خطاب الابن أباه))[٢٠]، وخاصة أنهم قد تربوا في بيت نبي من أنبياء الله، وفي مقام يقتضي تلك الصيغة من خطابهم لنبي الله يعقوب (عليه السلام)، وإن خالطت نفوسهم بعض ما لا ينبغي لمثلها من حسدٍ وغلٍ وتدبير المكائد الشيطانية التي ينبغي أن يربأ عنها أي أحد فكيف بأبناء الأنبياء

المحور الثاني: يوسف في بيت العزيز (العلاقات الرسمية)

المرسل في الخطاب هنا عزيز مصر وزوجته هي المتلقي في قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [آية:٢١]

تجري المحاورة هنا بين عزيز مصر (الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ) وزوجته(لِامْرَأَتِهِ)، ((امرأته: معناه زوجه فإن الزوجة يطلق عليها اسم المرأة ويراد منه معنى الزوجة))[٢١]، ومن خلال الألفاظ القرآنية المستعملة وسياقها الواردة فيه نتبين نوع العلاقات بين المتحاورين(الإشاريات الاجتماعية) في هذا المشهد، الذي يدل عليه سياق الآية (الأمر في قوله: اكرمي مثواه، والرجاء في: عسى أن ينفعنا والمعطوف عليها أو نتخذه ولدًا) واقتضاه العرف التداولي، فالعلاقة الموجودة الكائنة هي الزوجية، والعلاقة المرجو تحقق وقوعها هي علاقتهما بيوسف (عليه السلام) بعد أن تفرس فيه النفع والوفاء وهذا من غاية التمكين الذي مكن الله ليوسف بعد مكيدة أخوته به.

ثم يثني بالكلام عن قصة مراودة زوجة العزيز ليوسف، والتي توزعت فيها الإشاريات الاجتماعية على أربع آيات في هذا المشهد قال تعالى: (قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) [آية: ٢٣]

العلامة اللغوية(الإشاريات الاجتماعية) في السياق هي ما أعطى النص بعده التداولي في قول المرسل يوسف (عليه السلام) لزوجة العزيز(المتلقي): (ربيّ)؛ إذ يبدأ الحوار بعد قولها: (هَيْتَ لَكَ)، وقوله: معاذ الله، مستعيذًا بالله ومستجيرًا به ليقيه شر ما كيد له، وأردف بقوله: (إِنَّهُ رَبِّي) ـ موطن الشاهد في هذه الآية ـ أي: سيدي ومالكي[٢٢]ـ على ما هو ظاهر لهم ـ وهو إخبار بمعلوم على سبيل التذكير، الذي أحسن إليّ فكيف أرد إحسانه بالخيانة، وهي من صيغ التبجيل التي اطلقها يوسف في هذا المقام فيذكرها بعلاقته الاجتماعية بمن ترمي خيانته، وهي علاقة رسمية تخضع لمعايير معينة يحددها المجتمع الذي يعيشون فيه، وأتبع بقوله: (أحسن مثواي) ليذكرها بطلب زوجها في قوله: (احسني مثواه)، فترتدع عمّا تروم، وثنى بقوله (أنه لا يفلح الظالمون) معرضًا بها ومذكرًا لها أن الظلم والفلاح لا يقترنان.

ثم أكمل سرد الأحداث قال تعالى: (وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [آية:٢٥]

استبقا الباب وكأنه حذف حرف الجر(إلى) ليرسم المشهد كما هو بمكانه وزمانه وشخوصه، إذ ضم النص جميع أنواع الإشاريات فصيغ الأفعال الماضية(استبقا، قدت، وألفيا، قالت، أراد) ثم المضارعة(أن يسجن)،تدل على زمن الحدث أما الإشاريات المكانية فمفهومة من دلالة الغاية الظرفية التي أفادها الجار المحذوف ومجروره المذكور(إلى الباب)، والإشارريات الشخصية تتمثل بالضمائر(ألف الاثنين في: واستبقا، الضمير العائد على الفاعل المؤنث في: قدت وقالت، الضمير الغائب العائد على يوسف عليه السلام في: أراد، ويسجن، الضمير المضاف والعائد على عزيز مصر في: أهلك)، أما الإشاريات الاجتماعية فنجدها بكلمات تدل بشكل مباشر على مرجعها الاجتماعي الذي يبين نوع العلاقة بين شخوص الحدث (سيدها، أهلك)، فقد صورت تلك الإشاريات المشهد وكأنك تنظر إليهما يسرعان هو هارب بنفسه

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد السادس والعشرون– تشرين الاول ٢٠٢٣–ربيع الاول ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

التي تأبى أن تتلطخ بعار الخيانة وذل الذنب، وهي تجري خلف شهواتها الدنيا، ولا شك أنه سبقها، ليجدا ما ليس بالحسبان (وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا) ((أي صادفا بعلها تقول المرأة لبعلها سيدي، وإنما لم يقل سيدهما لأن يوسف عليه السلام ما كان مملوكا لذلك الرجل في الحقيقة))[٢٣] بل على الظاهر لهم، موطن الشاهد: في كلمة (سيدها) التي بينت علاقة كل منهما بعزيز مصر، وفي قوله (أهلك) مبادرة لمخاطبةِ العزيز، ((ويقال قالت: (مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا) فذكر الأهل ها هنا غاية تهييج الحمية وتذكير بالأنفة))[٢٤]، فاستعملت من الكلمات ما تستعطف به قلب العزيز ليميل عن الحق إليها.

وبعد أن بان الدليل وشهد شاهد الحق قال تعالى على لسان العزيز: (يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ) [آية:٢٩]

يشكل كل من النداء، والالتفات الشاهد في الآية الكريمة في قوله (يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك) فهناك جملة نداء متكونة من أداة نداء محذوفة لغرض بيان منزلة المخاطب ولمراعاة ظروف الخطاب إذ أنهم((أرادوا ستر المسألة والكف عن الخوض فيها، فقالوا ذلك بأخصر طريق حتى أنهم لم يذكروا حرف النداء، فحذف حرف النداء تماشيا مع هذا الاختصار والتستر))[٢٥]، وقد ((حذف حرف النداء؛ لأنه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له))[٢٦]، فقد مكّن الله له في قلب العزيز من الود والتوقير ما بلغ به مبلغًا، وقد مثل النداء علامة لغوية أحالت بشكل مباشر إلى نوع العلاقة بين يوسف (عليه السلام) وعزيز مصر.

أمَّا الالتفات فبينه ابن عاشور بقوله:((وجملة: واستغفري لذنبك، عطف على جملة: يوسف أعرض، في كلام العزيز، عطف أمر على أمر والمأمور مختلف، وكاف المؤنثة المخاطبة متعين أنه خطاب لامرأة العزيز، فالعزيز بعد أن خاطبها بأن ما دبرته هو من كيد النساء وجه الخطاب إلى يوسف ـ عليه السلام ـ بالنداء ثم أعاد الخطاب إلى المرأة))[٢٧]، ففي ذا الانتقال بين الضمائر ما يفيد السرعة التي يقتضيها التستر على الموقف، والخطاب المباشر لهما لمنزلة كلٍّ منهما عنده، وفي هذا الالتفات إحالة غير مباشرة أفادت نوع العلاقة بين المتحاورين(العزيز يخاطب زوجته ويوسف عليه السلام)، وقد تشكل المشهد كما رأينا من إشاريات ظاهرة وغير ظاهرة مفهومة من سياق المقام، إذ لا يقف((دور الإشاريات في السياق التداولي عند الإشاريات الظاهرة، بل يتجاوزها إلى الإشاريات ذات الحضور الأقوى، وهي الإشاريات المستقرة في بنية الخطاب العميقة عند التلفظ به، وهذا ما يعطيها دورها التداولي في إستراتيجية الخطاب))[٢٨].

ثم انتقل القرآن الكريم خارج أسوار بيت العزيز قال تعالى: (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) [آية:٣٠]

نجد في هذا المشهد تضافر الإشاريات المكانية والاجتماعية لتعطينا صورة كاملة عن المشهد، إذ تتمثل الإشاريات المكانية بدلالة الجار والمجرور(في المدينة)، ونجد الإشاريات الاجتماعية في كلمة(نسوة) مشيرةً إلى مجتمع النساء، و(امرأة العزيز) لقب لسيدة من أشراف وسادة مصر في ذلك الحين، و(فتاها) التي تبين العلاقة الاجتماعية بين زوجة عزيز مصر ويوسف (عليه السلام)، فالفتى كناية عن المملوك كما يُكنى بالغلام والجارية، وقد أُضيف إلى الضمير(فتاها) العائد على زوجة العزيز، فهو غلامٌ لزوجها وهو غلام لها بالتبع[٢٩].

المحور الثالث: يوسف في السجن

وقد جرت محاورات في هذا المحور المهم توزعت على عدة آيات تبدأ بمحاورة يوسف مع صاحبي السجن في قوله تعالى: (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد السادس والعشرون– تشرين الاول ٢٠٢٣–ربيع الاول ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

رَّأسِهِ ۚ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ۝ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) [آية:٤١- ٤٢]

اختار يوسف عليه السلام السجن على الذنب، فدخله ظلمًا من ذوي النفوذ والسلطان، فتكونت له فيه علاقة جديدة على أساس الصحبة المكانية والحالية، عُبرَ عنها بالإشاريات الاجتماعية - التي مثلت علاقة غير رسمية - كان النداء بقوله: (يا صاحبي السجن)، أحد أدواتها الإجرائية، ويبين ذلك ابن عاشور بقوله: ((وعبر عنهما بوصف الصحبة في السجن دون اسميهما أمَّا لجهل اسميهما عنده إذ كانا قد دخلا السجن معه في تلك الساعة قبل أن تطول المعاشرة بينهما وبينه، وأمَّا للإيذان بما حدث من الصلة بينهما وهي صلة المماثلة في الضراء الإلف في الوحشة، فإن الموافقة في الأحوال صلة تقوم مقام صلة القرابة أو تفوقها))[٣٠] .

وكذلك نجد هذه الإشاريات في قوله(اذكرني عند ربك) مخاطبًا ساقي الملك، ((وأراد بذكره ذكر قضيته ومظلمته، أي اذكرني لربك، أي سيدك، وأراد به ملك مصر))[٣١]، فالساقي سيعود لعمله السابق يقينًا كما أخبره يوسف عليه السلام، وستعود علاقته برب نعمته كما كانت وقد عبرت الإشاريات الاجتماعية عن ذلك أصدق تعبير.

ثم ينتقل إلى تفسير رؤيا الملك، قال تعالى: (يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ) [آية: ٤٦]

نجد الملمح التداولي حاضرًا بقوة في النص من خلال الإشاريات بشكل عام والاجتماعية منها بشكل خاص، فبعد أن تكتمل أجزاء المشهد الحواري من شخوص(الملك - الساقي - يوسف عليه السلام)، وزمان(زمان حكم ملك مصر من غير الفراعنة) ومكان(السجن) تأتي الإشاريات الاجتماعية لتحدد نوع وشكل العلاقات الرابطة بين شخصيات الخطاب والذي تمثلت هذه الإشاريات بالنداء، وقد سيق الكلام على لسان ساقي الملك كما رأينا- الذي كان قد نسي أمر يوسف وذكره بعد حين، فبادر بمناداته بعد أن أرسله الملك: (أيها الصديق)، لما عهد منه من صفات خَبرها وعاينها بنفسه، والصديق((أصله صفة مبالغة اشتقت من الصدق [...] وغلب استعمال وصف الصديق استعمال اللقب الجامع لمعاني الكمال واستقامة الملوك في طاعة الله تعالى، لأن تلك المعاني لا تجتمع إلا لمن قوي صدقه في الوفاء بعهد الدين))، فالنداء بهذه الصيغة والصفة فيها من معاني التعظيم والإجلال ما فيها لتدلنا على علاقة اجتماعية رسمية مبنية على تلك المعاني الجليلة السامية .

قال تعالى: (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ) [آية: ٥٠]

الملمح الاجتماعي في التعبير القرآني هنا باستخدام كلمة الملك فالمعهود أن من يحكم مصر في العصر القديم هم الفراعنة فلما عدل عن قول فرعون إلى(ملك)، وتجيبنا كتب التفاسير عن ذلك أنه قد((سماه القرآن ملكًا ولم يسمه فرعونا، لأن هذا الملك لم يكن من الفراعنة ملوك مصر القبط، وإنما كان ملكًا لمصر أيام حكمها الهكسوس، وهم العمالقة وهم من الكنعانيين أو من العرب))[٣٢]، إذ الحكم لم يكن فرعونيا والمجتمع قد خلاطه الغبط وغيرهم فلم تعد السيادة بأيديهم، وهذا التعبير يمكن أن يعد من الإعجاز التاريخي في القرآن الكريم.

المحور الرابع: يوسف عزيز مصر ومجيء إخوته إليه

في هذه الآيات صور متتابعة ترسم خاتمة القصة، إذ تبدأ باتهام إخوة يوسف بالسرقة قال تعالى: (فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ) [آية: ٧٠]

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد السادس والعشرون– تشرين الاول ٢٠٢٣–ربيع الاول ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

الشاهد في جملة النداء(أيتها العير) إذ تحمل هذه الرموز اللغوية بعدًا اجتماعيًا تدل عليه نسبته الخارجية المتحققة في الواقع، إذ يعود الكلام على جماعة القافلة، ((والعير اسم للحمولة من إبل وحمير وما عليها من أحمال وما معها من ركابها، فهو اسم لمجموع هذه الثلاث، واسندت السرقة إلى جميعهم جريًا على المعتاد من مؤاخذة الجماعة بجرم الواحد منهم، وتأنيث اسم الإشارة وهو(أيتها) لتأويل العير بمعنى الجماعة لأن الركاب هم الأهم))[٣٣]، فالملمح التداولي رسم هنا الصورة بدقائق تفاصيلها فهناك جماعة متكلمة من جنود جيش مصر، وجماعة مخاطبة من القافلة التي فيها أخوة يوسف(عليه السلام)، وذلك من لطائف المكائد ليأخذ يوسف أخاه من الرهط الذي أساء إليه فيما مضى.

ثم استعطافهم العزيز ليصفح عنهم أو ليأخذ أحدهم مكان أخوهم قال تعالى: (قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) [آية: ٧٨]

المقصود بالنداء على وجه التعظيم والإجلال هنا هو يوسف عليه(يا أيها العزيز) بعد أن دالت الدنيا وعلا أهل الحق مراتبهم، فقد((نادوا بوصف إمَّا لأن كل رئيس ولاية مهمة يُدعى بما يرادف العزيز فيكون يوسف ـ عليه السلام ـ عزيزًا كما أن رئيس الشرطة يدعى العزيز كما تقدم في قوله تعالى(امرأة العزيز) وإمَّا لأن يوسف ضمت إليه ولاية العزيز الذي اشتراه))[٣٤]، فالنداء هنا ممن أجرم في حق يوسف ذات يوم وهاهم يستعطفونه بقولهم(إن له أبًا شيخًا كبيرًا) (فخذ أحدنا مكانه) (إنَّا نراك من المحسنين).

الخاتمة

أولًا: بين العلاقات الرسمية وغير الرسمية هناك علاقة متوسطة يفرضها سياق تتدرج من علاقة رسمية يشوبها شيء من غير الرسمية لغاية يفرضها السياق وبالأحرى إرادة المرسل، ومن العلاقة غير الرسمية إلى غير رسمية يشوبها شيء من الرسمية لغاية عند المخاطب كالتبجيل والاحترام وغيرها.

ثانيا: أكثر ما تجلت به الإشاريات الاجتماعية في سورة يوسف تمثلت بأسلوب النداء بأختلاف صيغه وادواته، إذ نجد نداء القريب والبعيد (القرب والبعد الحقيقي والمجازي منه خاصةً) قد تحقق باعتبارات اجتماعية في الدرجة الأولى.

ثالثًا: الكناية والالتفات باعتبار وجوههما وغايتهما يمكن عدهما من الإشاريات الاجتماعية المتداولة على نطاق واسع في اللغة بشكل عام ولغة التواصل اليومية بشكل خاص.

رابعًا: يمكن تقسيم الإشاريات على قسمين منها مبهمات ليس له معنى وضعي وما يزيل إبهامها هو السياق الذي ترد فيه كالإشاريات الشخصية والزمانية والمكانية، ومنها ماله معنى وضعي لكن يُعدل عنه إلى المعنى الثانوي الذي يصح أن نسميه المعنى السياقي كالإشاريات الخطابية والإشاريات الاجتماعية، وبذاك نستطيع تصنيف أول النوعين بأنه من تداولية الدرجة الأولى، والثاني منهما أنه من ثاني درجات التداولية.

خامسًا: قد تنتمي الإشاريات الاجتماعية لسياق أكثر تعقيدًا من سياق الإشاريات الشخصية والزمانية والمكانية؛ وذلك لأن التعبير عن تلك الإشاريات يكون بصيغ صريحة مباشرة، أمّا الإشاريات الاجتماعية فقد يعبر عنها بصيغ مباشرة وغير مباشرة كما مر بنا في الاستعارة والكناية والالتفات.

المصادر

أولًا: الكتب المطبوعة

- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، د ط،٢٠٠٢م.
- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي ـ ليبيا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

ISSN-2536-0027

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر البيضاوي(ت:٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت _لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت:١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، ١٣٣٤هـ.
- التداولية، جورج يول، ترجمة، د. قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
- التداولية أصولها واتجاهاتها، د. جواد ختام، دار كنوز المعرفة، عمّان ـ الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.
- التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيلب بلانشيه، ترجمة، صابر الحباشة، دار الحوار، اللأذقية ـ سورية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.
- دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني (ت:٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، القاهرة ـ مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبدالله بن عبدالرحمن بن عقيل(ت:٧٦٩هـ)، مؤسسة الرسالة ناشرون، د ط، د ت.
- علم الدلالة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة ـ مصر، الطبعة الخامسة ١٩٩٨م.
- الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد(ت: ٢٨٥هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة _مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت:٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- اللسانيات الاجتماعية أو علم الاجتماع اللغوي، جميل حمداوي، دار الريف للطباعة والنشر الإلكتروني، تطوان_ المملكة المغربية، الطبعة الثانية، ٢٠٢٠م.
- لطائف الإشارات، عبدالكريم بن هوازن القشيري(ت:٤٦٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.
- مدخل إلى اللسانيات التداولية، الجيلالي دلاش، ترجمة: محمد يحياتن (ت:٢٠١٢م)، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، د.ط، ١٩٩٢م.
- المشيرات المقامية في اللغة العربية، نرجس باديس، مركز النشر الجامعي، د. ط،٢٠٠٩م.
- معاني النحو: د. فاضل السامرائي، شركة العاتك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، الطبعة الثانية،٢٠٠٣م.
- مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر الرازي(ت:٦٠٦هـ)، دار الفكر، بيروت _لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.
- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر، د. ط، ١٩٧٥م.

ثانيًا: البحوث المنشورة

- التأشير والتباعد بين القدماء والمحدثين مقاربة تداولية ـ بحث منشور ـ دلخوش جارالله حسين، مجلة جامعة زاخو، المجلد: ٣، العدد ٢، ٢٠١٥م: ٤٦٠

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد السادس والعشرون– تشرين الاول ٢٠٢٣–ربيع الاول ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

(١) التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة: صابر الحباشة: ١٩
(٢) التداولية أصولها واتجاهاتها، د. جواد ختام: ٧٦، وينظر: استراتيجيات الخطاب، عبدالهادي الشهري:٧٩-٨١
(٣) التداولية، جورج يول، ترجمة :قصي العتابي: ٢٧
(٤) أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحله:٢٥
(٥) التداولية، جورج يول: ٢٩
(٦) ينظر: علم الدلالة:٣٨
(٧) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك:١٢٣/١
(٨) التأشير والتباعد بين القدماء والمحدثين مقاربة تداولية ـ بحث منشور ـ دلخوش جارالله حسين، مجلة جامعة زاخو، المجلد: ٣، العدد ٢، ٢٠١٥م: ٤٦٠
(٩) المشيرات في اللغة العربية، نرجس باديس:٢٤٨
(١٠) ينظر: النحو الوافي، عباس حسن:٥٨٤/٤
(١١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني:٦٦
(١٢) ينظر الكامل في اللغة والأدب، المبرد:٢١٥/٢-٢١٦
(١٣) ينظر: مدخل إلى اللسانيات التداولية ، محمد يحياتن: ٥٤
(١٤) اللسانيات الاجتماعية أو علم اللغة الاجتماعي، جميل حمداوي:١٠
(١٥) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:١٠،١١
(١٦) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:١٥
(١٧) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر ابن عاشور:١٩٧/١٢
(١٨) التحرير والتنوير:٢١٣/١٢، وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي:١٥٥/٣
(١٩) التحرير والتنوير:٢٢٩/١٢
(٢٠) المصدر نفسه:٢٢٧/١٢
(٢١) المصدر نفسه:٢٤٥/١٢
(٢٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، جار الله الزمخشري:٢٦٧/٣
(٢٣) مفاتيح الغيب ، فخرالدين الرازي:١٢٤/١٨
(٢٤) لطائف الإشارات، عبدالكريم القشيري:٧٥/٢
(٢٥) معاني النحو، فاضل السامرائي:٦٩٦/٤
(٢٦) تفسير الكشاف:٢٧٤/٣
(٢٧) التحرير والتنوير:٢٥٩/١٢
(٢٨) استراتيجيات الخطاب: ٨١
(٢٩) ينظر: التحرير والتنوير:٢٦٠/١٢
(٣٠) التحرير والتنوير:٢٧٤/١٢
(٣١) المصدر نفسه:٢٧٨/١٢
(٣٢) التحرير والتنوير:٢٨٠/١٢
(٣٣) التحير والتنوير:٢٨/١٣
(٣٤) المصدر نفسه:٣٨/١٣

CAMBRIDGE SCINTIFIC JOURNAL